العرب
الجمعة 2020/02/28
السنة 42 العدد 11631

معرض بحريني يعيد الثقة للجسد الممتلئ

محمد المهدي يشكّل عوالم فرناندو بوتيرو بعيون خليجية

شخوص بدينة تشمل الرجال والنساء على السواء

سخرية فنية من المعايير الجمالية

أعمال فنية تستلهم من الذاكرة حاضرها

يعدّ التشـكيلي محمد المهدي أحد أبرز الرسـامين الشباب في البحرين، فقـد عرض تجربته الفنية في العديد مـن المعارض الفردية والجماعية في البحرين والكويت وسـوريا ولبنان والمغرب والسـعودية وسويسـرا. كما عرضـت إحدى لوحاته تكريما لذكرى طفل اختفى في ظروف غامضة في البحرين في متحف البحرين الوطني.

زكي الصدير
كاتب سعودي

المنامة – في معرضه الأخير يحاول الفنان البحريني محمد المهدي أن يحاكي الفنان التشكيلي الكولمبي فرناندو بوتيرو (مواليد 1932)، وذلك من خلال إلقاء تحية خاصة له في معرضه الشخصي المقام في غاليري البارح بعدلية المنامة في البحرين، والذي انطلق في منتصف فبراير مستمرا حتى العاشر من مارس القادم.

محمد المهدي

تعلمت من بوتيرو أن على الفنان أن يعكس محيطه في رسوماته

بعد تأمل طويل في تجربة فرناندو بوتيرو المهتمّة بشكل أساسي برسم ونحت الأشخاص، التي عرفت ببصمته الفنية من خلال إظهارها بأبعادها الضخمة، وببدانة الهياكل البشريّة والحيوانية فيها. مفسّرا استعماله للأشكال البدينة بأن الفنان يجذب إلى بعض الأشكال دون معرفة السبب.

استطاعت الميديا العالمية أن تهيمن على ذائقة المتلقي وحكمه إزاء الجمال، وأن تسوّق له جمال الجسد في صورة جاهزة متضمنة قوالب بصرية لمعايير الكمال للمرأة والرجل، وكيف يجب أن تبدو عليه الأجساد في رشاقتها واكتمال عضلاتها وقوامها.

حيال ذلك كله، وبوعي شديد من محمد المهدي، اختار أن يقترب بتجربته الفنية من عوالم بوتيرو الساحرة التي تنطلق من تحدي المعايير والسخرية منها، محطما كل الصور النمطية الجاهزة على المستوى التاريخي والديني والاجتماعي والسياسي أيضا. لكنه يلبس بعض شخوصه الحالة البحرينية وكأنه يعيد صناعة عوالم بوتيرو بعيون خليجية لها ارتباطها الخاص بالمكان والزمان والملابس التقليدية.

وفي هذا الشأن يقول المهدي في المانفستو الخاص بالمعرض إن العام 2000 كان بالنسبة لتجربته بمثابة المسمار الأخير الذي ضربه في نعش علاقته بالرسم الواقعي للحياة، حيث بدأ بعدها في البحث عن الذات من خلال الرسم.

وفي عام 2005 وجد الفنان البحريني نفسه في مفترق طرق بين تأثير الفنان فرناندو بوتيرو وتأثير الفن المتعلّق بالطفولة، الذي كان يشتغل عليه، فاختار التركيز على عالم الطفولة وأسرارها وفنونها وفتح مناطقها المغلقة في أعماله اللاحقة.

اعتاد المهدي في تجاربه السابقة تقديم فكرته بصورة أفقية، حيث يعزّز في أعماله الفنية الفوارق بين اللعبة الحقيقية والألعاب الرقمية، وعلاقتها السيكلوجية والسيسيولوجية بالأطفال وبذويهم، من حيث القدرة على وعيها والانتقال بهم من عالم إلى عالم مرتبط بالطفل ونموّه الفكري، وبتصوّراته الأولى للتجربة. لكنه في معرضه الحالي الذي يلقي من خلاله تحيته الخاصة لبوتيرو نجده في منطقة اشتغال مختلفة ذات مضامين فنية مُغايرة عن تجاربه الفنية السابقة.

اشتغالات الفنان البحريني خارج سياق الزمان والمكان، هي محاولة لقراءة إبداعية مفتوحة للعالم المرئي، ومرحلة من السعادة الواضحة التي لا يُستثنى منها الشوق والذاكرة، حيث يحاول المهدي من خلال أعماله أن يجعل الوعي البصري في حالة معلّقة حيال الكون والجمال بصورة دائمة.

ويقول محمد المهدي "حاولت في المعرض الرجوع إلى الماضي، إلى المُعلّم الذي ظهر متأخرا، الفنان فرناندو بوتيرو الذي وجد الجمال في الجسد الممتلئ، والذي غزا العالم بتماثيله الضخمة. لقد تعلمت منه بداياتي، وكيف أكون فنانا قادرا على أن يعكس محيطه، وأن يكون جزءا من بيئته".

ويتابع "في هذا المعرض لم أمنع نفسي من الخروج عن المألوف -ولو مؤقتا- لممارسة تجربة لطالما راودتني وسكنتني بعمق، فتارة أقدّم تجربة بوتيرو الفنية بصياغة الموضوع والمحافظة على طريقة الرسم التقليدية، وتارة أخرى أحاكي أسلوبه بصورة كلية. من خلال هذا المعرض أشيد باحترام وتقدير بمكانة هذا الفنان العظيم".

> **الفنان البحريني يحاول من خلال أعماله أن يجعل الوعي البصري في حالة معلقة حيال الكون والجمال بصورة دائمة**

يذكر أن محمد المهدي فنان ومصمّم من مواليد البحرين عام 1976، ارتبطت علاقته بالفن منذ طفولته عبر اكتشافه للفحم في الشوارع، حيث بدأ يملأ جدران الحي برسوماته.

وبعد سنوات، عندما بدأ في البحث عن أسلوبه الشخصي، وجد أن الرسم للأطفال هو ما يسكنه، فقرّر أن يتبنى هذا الأسلوب كأداة لرواية القصص، يروي من خلالها قصته الخاصة به، ثم يغامر في العالم باحثا عن لحظات الحياة اليومية التي تكتسب مظهرا يشبه الحلم ولا تسحب منه النظرة أبدا.

الفن الغامر يكسر الحاجز بين واقع الثورة وخيالها

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

منذ أن دخلت الألعاب النارية ساحة الشهداء في بيروت احتفالا بالسنة الجديدة، لم تخرج منها، ولكن تحوّلت وتغيرت سبل وتوقيت استخدامها على وقع يوميات الثورة اللبنانية.

فاللبنانيون الذين تجمعوا في تلك الليلة الاحتفالية، ورفعوا مجسمات لقبضة الثورة والأعلام اللبنانية، ورقصوا وغنوا حتى جاء منتصف الليل هاتفين بالعدّ التنازلي لاستقبال العام الجديد وأطلقوا الألعاب النارية في السماء، لم يدركوا أن تلك الألعاب النارية سترافقهم في تحركات ليلية تالية تأرجحت بين السلمية والعنفية حتى الإعياء.

كنت حاضرة في إحدى تلك الليالي حيث ساد توتر حاد ما بين المحتجين والقوى الأمنية. استخدمت فيها القوى الأمنية، الموكول إليها حماية مجلس نواب الشعب من الشعب، القنابل المسيلة للدموع وخراطيم المياه لتشتيت المتظاهرين.

بدورهم، عمد الكثير من المتظاهرين إلى إلقاء الألعاب النارية عموديا وأفقيا ضد عناصر المكافحة، لتختلط هذه الأخيرة في مزيج لوني/ضوئي باهر على خلفية سماء ليلية مع دخان المسيل للدموع وتكسرات تدفق الماء الذي كانت القوى الأمنية تصوّبه نحو المتظاهرين. وتسببت هذه الليلة في وقوع عدد من الجرحى نقلوا إلى المستشفيات على وقع صراخ المتظاهرين.

ليلتها أصابني نوع من الذهول والحيرة الشديدة لأنني كنت أمام وفي قلب مشهد صدامي على السواء، وخجلت من نفسي لأنني لم أستطع أن أمنع نفسي من الافتتان بجانبه الفني والجمالي.

لم أعد أعلم ماذا أفعل في وسط الساحة تحديدا. هل أكتفي بتقديم قطع البصل النيّ والمقطّع إلى الثوار كي يتنشّقوها بعد أن أصابهم دخان القنابل المسيلة للدموع؟ هل أنا مُشاركة فاعلة في الاحتجاج؟ هل أنا فعلا مع استخدام العنف تجاه القوى الأمنية؟ هل أرضى بأن أظل هذه الليلة مجرد داعمة سلمية للثورة، أُجسّدها بحضوري وليس بيدي، حتى راية لبنانية ولا هتاف أردّده في العلن؟ هل أحاول العودة إلى المنزل؟

ما أن مرت دقائق حتى شعرت أنني مُراقبة للمشهد الهائل العنيف أشارك في تشكيله بألوانه وصخبه، مُتنشّقة لروائحه الحادة وذائقة لطعمه الصدئ المُتشكل في فمي. مُراقبة، نعم. ولكن من قلب صناعة المشهد.

عندما عدت إلى المنزل مُنهكة ذهبت أفكاري إلى هويتي كفرد بين مجموعة وداخل مشهد/تجربة احتشد واحتشدت بالتفاصيل الحارقة والمُحرقة. أصبحتُ في نظري أشبه بخيط يغزل في نسيج الثورة، وصورة عنها في آن واحد.

أخذتني تلك الأفكار إلى ما جرى على تسميته بالفن الغامر، أي "الإيمرسيف آرت" الذي يزداد رواجه في العالم على حساب المعارض الفنية التقليدية.

وباختصار شديد، الفن الغامر هو الذي يدخل فيه الفرد "جسديا" إلى عالم صمّمه فنان ديجيتاليا وواقعيا على السواء. وهو فن يقدّم دهشات كبرى لأنه يكسر الحاجز ما بين الواقع والخيال. ويحوّل هذا الفن في الكثير من الأحيان، الفرد إلى مُشارك فاعل في اختراع وتوسيع معالم المشهد أو الرحلة التي صمّمها الفنان.

مرّت بضعة أيام على هذه الليلة الواقعية/الغرائبية لأعثر على صور فوتوغرافية رائعة تجسدها بكل ما كان فيها من حيوية وعنف وجمال. بعضها التقطها المصوّر ربيع ياسن، وبعضها الآخر، والأروع أخذها، لا بل اقتنصها المصوّر الفوتوغرافي نبيل إسماعيل من قلب الساحات. صور جسدت خفة يده وحدة نظرة خبيرة تمرّست على اصطياد اللحظات الخاطفة والقصوى.

كيف يمكن للمرء أن يكون مغمورا بالأضواء الملونة والمفاجئة وألا يكون ثائرا متفائلا ولو في وسط التشنّج؟ وكيف يمكن له ألا يكون إلاّ تجسيدا لكل ثائر صادق في صور واقعية/فنية كتلك التي اقتنصها المصوّر الفوتوغرافي نبيل إسماعيل من قلب الشارع. ثائر مغسول بالضوء في ثورة لونية/اشتعالية تواطأت مع نقيضها الظلام الليلي، على ضفاف خط الخطر الداهم.

> **الفن الغامر يحوّل في الكثير من الأحيان، الفرد إلى مُشارك فاعل في اختراع وتوسيع معالم المشهد أو الرحلة التي صمّمها الفنان**

صور شديدة وعنيفة، بصرية وتعبيرية و"غير سلمية" منبثقة مع واقع عاشه كل من كان عنصرا مؤلفا لهذه الليلة التي تبدل فيها الفرح، الذي تجسده الألعاب النارية، إلى مظاهر احتجاج على سلطة لا ترى ولا تسمع.

أتاح الفنان في صوره أن يعيد الثائر إلى الأجواء المتوترة التي اختبرها في تلك الليلة، وأن يجعله مرئيا في عين الثائرين الآخرين. في تلك الصور أصبح الثوار أقرباء/غرباء التقوا في ساحة واحدة دون أن يتعارفوا على خط المواجهات المُعمّدة باشتعالات العناصر الأربعة وتداخلها من نار وماء ودخان وحصى متطاير رموه تجاه القوى الأمنية.

أتأمل في صور نبيل إسماعيل كمن يتأمل في الشرر وأثره الذي حفر بعيدا في مسامات الوجدان الثوري، الشخصي والجماعي على السواء. وتعود إلى ذاكرتي أغنية لكاتي بيري عنوانها "الألعاب النارية"، تقول فيها هذه الكلمات البسيطة والعابرة للخيبات: "هل شعرت يوما ما أنك رقيق كمنزل من أوراق اللعب؟/هل شعرت أنك كالمؤدين تحت طبقات من صرخات متواصلة لا يسمعها أحد؟/لكن، هل تعلم أنه ثمة أمل وامض؟/عليك أن تدع الضوء يضيء/امتلك الليل!/لأنك ألعاب نارية تخترق السماء المعتمة/أخرج ألوانك إلى العلن كي يراها العالم".

بين الواقع الثوري وصوره الفنية أكثر من جسر عبور